الدفاع الإلهى

(رؤ٦: ٩-١١)

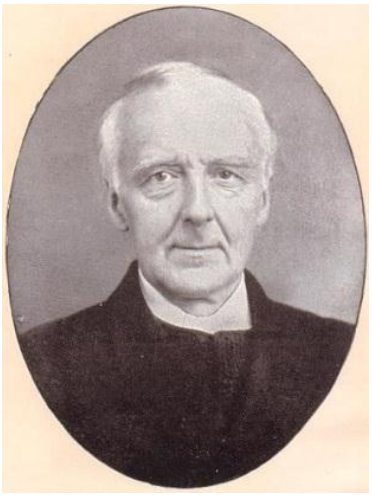

FB-Meyer

لقد أزيح الستار عن عينى الرائى ، فرأى نجاح الحروب ، والأوبئة ، والمجاعات ، في قتل عدد كبير جدا من سكان الأرض . هذه مناظر تكسر القلب واذ نراها ، أو نسمع عنها ، نتساءل: هل نسى الله الجنس البشرى الذين مات ابنه عنهم ؟ هل هذا العالم ملك للشيطان ، وقد أسلم للشهوات الشيطانية الجامحة ، لكى يتمم كل مقاصد الشيطان عن طريق

البشر ؟ ألا يمكن الا أن يستمر الفساد الذى في العالم في مسعاه الى أن يتمزق أمام قوات الشر المدمرة ؟ . بعد ذلك يرفع الحجاب فنرى الله وراء الظلال ساهرا على خاصته.

يا له من من عدد لا يحصى للذين ختموا شهادتهم للمسيح بدمائهم في واحد من سبعة الختوم تحدث عنها الرائى في (رؤ ٦ : ٩ - ١١) . كأن جزءا من سبعة من تاريخ البشرية هم الذين اهتموا بآلام « الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم . »

ان دماء الشهداء تصرخ الى الله دواما منذ الأيام التى صرخ فيها دم هابيل الى الله من الأرض التى فتحت فاها لتقبله . كان هنالك دواما ، في كل العصور ، صراخ دماء الشهداء التى سفكت في ساحات الألعاب الرياضية في روما ، وفي سويسرا واسكتلندا ، وهولندا ، ومصر ، وفلسطين ، والتي لجأت الى حكم الديان العادل.

ان الله يعنى عناية شديدة جدا بالعالم ، ويلاحظ الطرق البشعة التى تسفك بها دماء القديسين ودماء شهداء الرب يسوع المسيح . في كل الأجيال يدخل هذا الصراخ الى أذنى رب الجنود - ولو لم تسمعه آذان البشر قائلا : « حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض ؟ »

١ - اعتراف الكتاب المقدس بحق المتألم في الالتجاء الى العدالة الالهية دينونة روح العالم التى تمت عند صليب الرب يسوع المسيح . قال ربنا يسوع المسيح » الآن دينونة هذا العالم » (يو ١٢ : ٣١) . الواقع انه رغم ما كان يبدو ، أن ربنا هو الذي حل به القصاص والدينونة ، الا أنه - في نظر الأبدية - كان الذى يحاكم أمام بيلاطس ، والمعلق فوق الصليب ، هو الذى يدين فعلا كل النظم التى حكمت عليه بالصلب ، ويزنها في الموازين ، ويتركها لتلقى مصيرها

٢ - وهنالك منصة القضاء التى يجلس عليها المسيح ، ويقف أمامها كل عبيد الملك في نهاية الزمن ويعطى كل واحد حسابا عن الطريقة التى استخدم بها الوزنات التي أخذها من المسيح

٣ - وهنالك دينونة الأمم ، التى تحدث عنها المسيح في الأصحاح الخامس والعشرين من انجيل متى ، هذه الدينونة التى سوف يحاكمون بموجبها عن كيفية تصرفهم مع اخوته ، وعن الرحمة التي أظهروها لكل المتألمين ، وكل من كانوا في حاجة لمساعدتهم

٤ - وهناك دينونة العرش العظيم الأبيض (رؤ ٢٠ : ١١) ، التى يبين بها الله سبب تصرفاته مع جنسنا البشرى ، وينطق بالحكم النهائى الذى يستحقه كل واحد .

لكن واضح أن المحكمة التى يلجأ اليها الشهداء ليست واحدة من هذه فالكتاب المقدس يبين لنا أن قديسى الله ، منذ الأيام القديمة ، رأوا خلف حجاب الزمن كرسيا للقضاء، مثل ذلك الكرسى القائم في مدخل كل مدينة في الشرق . والى هذا الكرسى يلجأ كل متألم وكل مظلوم مضطهد ، ويستطيع ، المشتكى أن يذهب اليه في أية لحظة ، ويقدم شكوى ضد أى ظلم حل به . حالما تغتصب أملاك الفقير ويرتكب الظلم ، وتدبر المقاصد الشريرة ، المظلوم يمكنه أن يسرع للالتجاء الى الرب الذى لا يمكن أن يقبل الرشوة ، ولا يخاف انسانا.

عندما احتج يعقوب الرسول على الذين لم يدفعوا أجور الفعلة الذين يخدمونهم ، قال : « هوذا الديان واقف قدام الباب » (يع ٥: ٩) . هذه اشارة الى الشعور الذى يسود الكتاب المقدس باقتراب كرسى الدينونة .

انه خطأ شنيع أن يظن المرء بأن دينونة الله محفوظة للدهر الآتى فقط . فالدينونة متخذة مجراها، بصفة دائمة . صحيح انه قد عين يوما فيه يدين هذا العالم ، لكنه يدينه كل يوم . طبيعى اننا سوف ألا ننسى نقف أمام كرسى المسيح أخيرا . لكن يجب الا ننسى أننا واقفون أمامه كل لحظة ، وأن الذين نظلمهم يمكنهم في أية ساعة أن يلجأوا اليه لكى يقتص منا.

لاحظ طبيعة الالتجاء : » حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا ؟ » . وليس المقصود هنا هو الانتقام بالمعنى المتعارف عليه بين البشر ، فطبيعة الله لا تتفق مع الانتقام ، لأنه لا يحتد ، ولا يثور ولا ينفعل . وهو لم ينتقم حتى ممن رفعوه فوق الصليب ، لكنه بالعكس أرسل الروح القدس يوم الخمسين .

الانتقام يحمل معه روح الغضب ، ومقابلة المثل بالمثل . وعندما يطلب الشهداء من الله أن ينتقم لمظالمهم ، فان الفكرة الرئيسية لا تعنى أن الويلات تنصب على رأس من أساءوا اليهم ، بل تعنى اظهار حقهم واضحا ، واظهار عدالة الله في تدبيره شئون العالم . وعندئذ يقولون : « لا تقم لهم هذه الخطية ، بل ليعلم أنك أنت الله ، وأن للسماء سلطان) (أع ٧: ٦٠ ، امل ١٨: ٣٦ ، دا (٤:٢٦) .

هذا الالتجاء يمكن أن يقدمه الأفراد
واننا لنجد مزامير داود النبي مليئة بهذا النوع من الالتجاء

قم يا رب بغضبك ، ارتفع على سخط مضايقى ، اقض لى يا رب كحقى ، ومثل كمالى الذى في (مز ٧: ٦،٨) .

كان ارميا النبى بصفة دائمة يلجأ الى الله بسبب مقاومة جيله له : « يا رب الجنود ، القاضى العدل ، فاحص الكلى والقلب ، دعنى أرى انتقامك لأنى لك كشفت دعواي » (ار ١١ : ٢٠) .

أما المتألم الأعظم ، الرب يسوع المسيح ، فقد قيل عنه انه « كان يسلم لمن يقضى بعدل » (١ بط ٢ : ٢٣)

وهذا الالتجاء يمكن أن تقدمه الجماعة

يصور لنا الرب كنيسته في أحد أمثاله كأرملة في محنة شديدة ، ظلمها خصمها ، وصارت تأتى اليه باستمرار لكى تنال العدل والانصاف ، وتقول له « أنصفنى من خصمى » (لو ١٨ : ٣)

والكنيسة ، في الأيام الحاضرة ، ترفع شكواها دواما الى ربها . هى لا تريد الدفاع عن نفسها ولا تقدر أن تدافع عن نفسها . أنها تشبة قطيعا من الغنم وسط الذئاب . ورجاؤها الوحيد هو في الهروب الى ربها قائلة : « اقض لى يا الله وخاصم مخاصمتى مع أمة غير راحمة ومن انسان غش وظلم نجنى » (مز ٤٣ : ١) . وأحكام الديان في دور التنفيذ الآن.

يجب أن نميز بين الأحكام المرجأة ليوم الدينونة العظيم ، وبين الأحكام التى تجرى الآن . وحديثنا الآن مقصور على هذه الأحكام الأخيرة .

الله يسمع صراخ المساكين ، وينتقم لهم ، لا في الدهر الآتى فقط ، بل في هذا الدهر . ولو كانت لنا حدة البصر لاستطعنا - بلا شك - أن نرى كل يوم توقيع القصاص الذى تستحقه تلك الجرائم الشنيعة . والقصاص يكون دواما من نوع الجريمة و متناسبا معها . اذا سفك انسان دم أخيه فان دمه يسفك بيد أخيه (تك ٩:٦).

عندما قطعت أباهم يدى أدونى بازق ورجليه أدرك أن العدل الالهى اقتص منه لأنه سبق أن قطع أباهم أيدى وأرجل سبعين ملكا ، وقال : « سبعون ملكا مقطوعة أباهم أيديهم وأرجلهم كانوا يلتقطون تحت مائدتى . كما فعلت كذلك جازانى الله » (قض ١: ٧).

وكما أكل سيف أجاج أمهات شعب الله قطعه صموئيل اربا ، وهكذا أكل أمه بين النساء (١صم ١٥ : ٣٢ و ٣٣) .

واذ تأمل المرنم في طرق أعمال العناية الالهية قال :

« تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها ، معروف هو الرب ، قضاء أمضى ، الشرير يعلق بعمل يديه ، في الشبكة التى أخفوها انتشبت أرجلهم » (مز ٩ :١٥و١٦)

وقال ربنا عند إلقاء القبض عليه : « رد سيفك » الى مكانه ، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون ») مت ٢٦ : ٥٢) .

و الرجل الذى يخدع النساء تخدعه النساء . وكما انه برذيلته سبب الحزن لبيت الرجل العامل ، هكذا تكون ابنة الرجل الفقير معثرة لابنه.

و الذى سبب الويلات الكثيرة للعائلات الكثيرة عن طريق بيع الخمور سوف يرى عائلته هو قد هلكت بسبب تعاطى المسكرات.

والرجل الذى حصل على ثروته بطرق خاطئة سوف يرى أن هذه الثروة صارت لعنة لبنيه . وفى وسط كل هذه الثروة سوف لا يشبع ، كما كان الحال الملك تانتالوس[١] وسط المياه التي كانت تتباعد مع عنه ، وعندئذ تنهش في أحشائه نيران الندم وتوبيخ الضمير.

١-تانتالوس ملك ، تزعم الأسطورة الاغريقية أنه غمر الى ذقنه فى الماء ، وقد تدلت الأغصان المثقلة بالفاكهة قرب شفتيه . ولكن كلا من الماء والفاكهة كان يرتد بعيدا عنه كلما حاول بلوغه ، فعجز عن أن يأكل أو يشرب

تبيع انجلترا الأفيون الى الصين ، لكن امبراطوريتها العظيمة الهند - يفت في عضدها نهمها نحو المخدرات. وصل نابليون الأخير الى العرش بعد أن عبر بحارا من الدماء ، فغرقت امبراطوريته في بحار من الدماء عند قلعة سيدان .

ان كان فاعل الشر يقف خانعا أمام الخطية ، ويسمح لها بأن تعمل عملها ، وتتمم نتائجها وفقا للناموس الذي رسمه الله للعالم ، وهو ان عامل الشر يلقى جزاءه مضاعفا ، فليتيقن بأنه ليس ابنا الله ، وليذكر أن الخطية تحمل قصاصها المميت في طياتها . ومهما كان القصاص في الدهر الآتى شنيعا جدا لا يحتمل فان القصاص في هذا الدهر مروع جدا.

تأمل في القصاص الذي أجراه الله في التاريخ تأمل فيما حدث لنينوى ، وبابل ، والامبراطوريات المتتابعة لأحشويرش، وكورش ، والاسكندر ، ونابليون بونابارت . هذه مجرد عينات بسيطة من الأمثلة الكثيرة جدا ، تبين كيف اكتسح العدل الالهى من وجه الأرض الأفراد أو الجماعات التى تمادت فى اضطهاد وسفك دماء غيرها.

ان الله ممسك رفشه بيده ، وهو بصفة دائمة ينقى القمح من التبن ، ويلقى بالتبن في النار المتأججة وان ما يزرعه الانسان ، أو الهيئات ، أو الأمة ، فاياه يحصد .

شهادة الكنيسة الصفات سيدها

لا شك في أن ابطاء السماء في تنفيذ مقاصدها أمر محير ومربك . هل يوجد أى واحد فينا لم يتنهد مرارا كثيرة قائلا : « حتى متى أيها السيد ؟ حتى متى يستمر هذا السلطان للشيطان ؟ حتى متى يطول هذا الاضطهاد للأبرياء ، وهذا النجاح للظلم الفادح وهذا التفاوت الواضح بين مجازاة المظلومين وظالميهم ؟ » . من أفواه الأرامل اللاتى اغتصبت حقوقهن ، والأيتام الذين حرموا من آبائهم ، والموظفين البسطاء الذين يعيشون حياة البؤس ولا يجدون الا الكفاف بشق النفس ، والخياطات اللاتى يتعرضن كل يوم لأعنف التجارب بسبب أجورهن المبخوسة.

من أفواه جميع هؤلاء ، وغيرهم ، يتصاعد الصراخ دواما الى أذنى رب الجنود قائلا : « حتى متى أيها السيد ؟ حتى متى ؟ » .

وعلى أية حال ينبغى ألا نقيس تباطؤ الله بمقياس سنى حياتنا القصيرة ، بل بحقبات أجياله هو. بمقارنة الساعة بطول حياة البعوضة القصيرة يتبين أنها طويلة . أما بمقارنتها بطول حياة الانسان فانها تظهر قصيرة جدا .

عندما قال الرب يسوع المسيح ان الله ينصف مختاريه سريعا (لو ١٨ : ٧ و ٨) ، لابد أنه كان : (يراعى سنوات يمين العلى الذى يرى بأن ألف سنة كيوم واحد) ٢ بط ٣ : ٨) .

يا ابن الموت ، تعلم كيف تتحلى بالصبر ، فان الرب يسوع آت سريعا . » ان توانت مركباته فانتظرها ، لأنها ستأتى اتيانا ولا تتأخر (حب ٢: ٣). والسر في هذا التوانى ، الذى تحسبه أنت ابطاء ، هو أن أيام حياتك قصيرة ، والله انما يقيس الزمن بمقياس الأبدية.

انه يركب على كروب ويطير ، ويهف على أجنحة الريح (مز ١٨ : ١٠) ، مسرعاً لينصف مساكين الأرض ، ويريحهم ممن ينفث فيهم ، ويتغطرس عليهم) مز ١٢ : ٥) .

و في نفس الوقت ينبغى أن نستمر في شهادتنا لصفات سيدنا . فانه قدوس ، ليست هنالك أية شركة بينه وبين قوات الظلمة ، وهو صادق . لقد قال انه سوف « ينقض أعمال ابليس » (١ يو ٣ : ٨) ، وهذا ما سيفعله فعلا . لقد قال انه سوف يأتى ثانية ويأخذنا اليه (يو ١٤ : ٣). وهذا ما سيفعله فعلا . ولقد قال انه سوف يصلح ما أفسدته الدهور ، وهذا ما سيفعله فعلا فهو صادق.

سوف يجرى العدل والحق والبر بدقة كاملة لا تخطى، قط . وأخيرا تتهلل كل الكنيسة - وهي واقفة على البحر الزجاجى - وتقول : « عظيمة وعجيبة أعمالك أيها الرب الاله القادر على كل شيء هى عادلة وحق هى طرقك يا ملك القديسين » (رؤ١٥:١-٣)

و في نفس الوقت تعطى ثيابا بيضاء لجماعة الشهداء ، وهى ثياب الكهنة ، لكى يشتركوا في التوسل العام للمسيح لكى يأتى.

ان كل حادثة تحدث في عالمنا تحمل في ثناياها هذا الدعاء الحار الى المسيح - تبارك اسمه - لكى يعجل بالمجيء ، ويصحح كل الأخطاء ، ويظهر البر ، ويأخذ الملك الى الله الآب . واستجابة لهذا النداء نسمعه يقول : « أنا آت سريعا » .

فصل من كتاب (في النار والماء) للكاتب (F.b.Mayer) الرب يستخدم هذا الموضوع لتعليمنا والاتكال عليه وحده.

النقل والتنظيم الاخ/ صفوت زكي سمعان